الانتظام اللساني النصي: سورة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنموذجاً

د. عبد المهدي هاشم الجراح *

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٨/٨/٣ تاريخ القبول: ٢٠٠٩/١/٢٣

ملخص

يتناول هذا البحث مجموعة من جوانب الانتظام اللساني النصي في سورة "محمد" صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لإبراز وظائفها النصية؛ لأنها تعمل على تشكيل النص؛ وإبراز طاقاتة التنظيمية. تناول البحث بداية مفهوم الانتظام اللساني وطبيعته اللسانية، ثم خصوصية الانتظام اللساني النصي في القرآن الكريم، وانتقل بعد ذلك لبحث جوانب الانتظام اللساني في سورة"محمد"، وهذه الجوانب هي: نموذج التتابع المنطقي للأفكار، ونموذج قصدية المحور والتفريعات التركيبية، والتباين والتجانس، وتتابع الأساليب اللغوية. خلص البحث إلى أن هذه الجوانب قد أسهمت-كغيرها من الجوانب اللغوية الأخرى- في تشكيل النص القرآني، وقد تدخلت بطريقة فاعلة في بناء شبكة العلاقات النحوية والدلالية.

***الكلمات المفتاحية: جوانب، الانتظام اللساني النصي، بناء، سورة محمد.**

Abstract

Systemic Textual Concepts in (Mohammad) Sora :a Linguistics Study

By:

Dr.abdel Mohdy al-jarah

This paper studies reports some aspects of systematic text in (Mohammad) Sora, by focusing on its content functions in order to construct the text frame. In the beginning, the study analyies the concept of systematic text and its nature; in addition, it reports the specified of systematic text in holly Koran. With a special attention to Mohammad sora. These aspects are: order of ideas, initiations of kernel statement, and structure branches, variation and consistency, and linguistics procedure chaining. These aspects could contribute to the construction the Koran text, and they could contribute to construction the grammatical and semantics relation.

***keywords: aspects, systematic text, construct, Mohammad sora.**

* قسم العلوم الإنسانية، جامعة العلوم والتكنولوجيا.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

مقدمة

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن البناء النصي من منظور لساني نصي، ويعود هذا الاهتمام إلى المهمة الأساسية التي نهض علم اللغة النصي لتحقيقها، وهذه الوظيفة أو المهمة هي إعطاء القارئ إدراكًا لصفات صيغ التنظيم في بعض أصناف النصوص(١). وهذا بالضرورة سيجعل القراء ينتقلون بصورة واعية إلى التغلغل الواعي المستقل في كيان النص(٢).

تأتي هذه الدراسة لتقديم مجموعة من جوانب التنظيم اللساني النصي في أفصح النصوص وهو القرآن الكريم، وكيف أن هذه النماذج التنظيمية تعمل على بناء النص: لفظاً ومعنى؟ مما يؤدي إلى جعل المعاني أكثر قدرة على الفهم والإفهام، أي: أكثر قدرة على التأثر والتواصل؟ وربما يكون هذا سراً من الأسرار التي دفعت إلى جعل القارئ يصغي إلى القرآن الكريم، ويتابعه، ويتأثر بكل ذلك إيجاباً، ويكون بذلك النص القرآني قد سبق علوم العصر ومعارفه منذ مئات السنين، ويكون هذا شاهداً وإسهاماً على عظم البلاغة القرآنية.

تناول البحث بداية مفهوم الانتظام النصي، وطبيعته ،ثم خصوصيته في القرآن الكريم، ثم انتقل بعد ذلك لعرض نماذج الانتظام النصي في سورة "محمد".

أولاً: مفهوم الانتظام النصي وطبيعته اللسانية

يفهم من بحث الباحثين والمتخصصين في علم اللغة النصي ولسانيات النص أمثال: فان ديجك (Van Dijk)، وروبرت دي بوجراند (Robert Debeaugrande)، ودرسلر (Dresller)، وفولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، وبرند شبلز (Shbellner)، أن الانتظام النصي يعني الكشف عن الوسائل والإجراءات التي تجعل النص متسقاً ومتكاملاً، ومتماسكاً، وهذه الوسائل والإجراءات كثيرة جداً في النصوص، وللدقة في عرض معنى الانتظام الداخلي للنص، لا بد من طرح السؤالين التاليين والإجابة عنهما وهما: ما معنى البناء النصي؟ ثم ما هي أسس التحليل النصي؟

يعني البناء النصي في حقيقته أن النص كل تتفرع عنه الجزئيات، إنه باختصار وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي ، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات لغوية، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية، ومن ثم يصعب أن يعتمد في تحليل النص على نظرية بعينها(٣). كما أن "الجملة في النص ذات دلالة جزئية ولا يمكن أن تتقرر بالتحديد الدلالة الحقيقية لكل جملة داخل ما يسمى بكلية النص Textganze إلا بمراعاة الدلالات السابقة واللاحقة في ذلك التسلسل/ التتابع الجملي، إذ ينظر إلى النص مهما صغر حجمة على أنه وحدة كلية مترابطة الأجزاء، فالاعتداد هنا ليس بالامتداد الطولي للنص، بل بالبنية الكبرى المتلاحمة داخلياً التي يقدمها النص".(٤).

---

(١) انظر: هاينه من، فولفجانج وفيهفيجر، ديتر: **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٢.

(٢) انظر: **المرجع نفسه**، ص ١٢

(٣) بحيري، سعيد، **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧، ص١١٩.

(٤) **المرجع السابق**، ص ١٣٩.

إذن فالبناء النصي يرتبط بالعلاقات النصية بين المكونات النصية: النحوية والدلالية، وقد توسع فان ديك في دائرة البناء النحوي للنص، وتابعه في ذلك دي بوجراند ودرسلر، إذ نظروا جميعاً إلى البناء النصي على أنه انتظام لغوي دلالي يقوم على التعالق الحاصل بين مستويات لغة النص الثلاثة، وهي: النحوية والدلالية والبراجماتية[١]. فيكونون بذلك قد أدخلوا الجانب البراجماتي في الانتظام النصي، ولكن دون المبالغة في ذلك كما فعل كل من براون ويول Brown & Yule[٢].إذ عدا النص حدثاً اتصالياً يخضع للسياقات المحيطة به، أي: أن النظر في السياقات المحيطة بالنص هو الأساس في الانتظام النصي، فبناء العلاقات والقواعد النصية يخضع للظروف المحيطة بالنص وسياقاتها أولاً، وبكلمة أخرى: فإن النظر في انتظام النص عند براون ويول يبدأ من السياق وينتهي بالنص وليس العكس.

ويرى الباحث أنه لا بد من النظر إلى النص، والانتظام النصي على أنه يقوم على مثلث أيديولوجي رأسه شركاء الاتصال: أي المرسل والمستقبل، ثم قاعدته السفلية اليمنى هي العلاقات النحوية، وقاعدته السفلية اليسرى هي العلاقات الدلالية، وتكون طبيعة العلاقة بين هذه المحاور الثلاثة هي: التفاعل، والانتاج لا الاستهلاك والتجاهل.

أما أسس التحليل اللغوي للنصوص فقد عبر عنها سعيد بحيري أدق تعبير حينما قال: " ويعتمد علماء النص في تحليلاتهم على عدد غير محدود من القواعد، ولا يخالجنا أدنى شك في أنهم يعتمدون كل الاعتماد على التراث اللغوي الضخم الذي اشتركت في صنعه مدارس مختلفة في معالجة مستويات صوتية وصرفية ونحوية، وعند الانتقال إلى مستويات أخرى لا يتقيدون بضوابط محددة، بل لديهم حرية كبيرة في صنع معاييرها وضوابطها وقواعدها وإلى هذا الأمر- بالإضافة إلى أمور أخرى- يرجع ذلك الخلاف الكبير بين علماء النص وذلك التعدد في اتجاهات التحليل النصي"[٣].

ويفهم ضمنياً من حديث روبرت دي بوجراند عن بناء نموذج عالم النص Building The Text – World Model أن تحليل لغة النص، يخضع لمجموعة من الأسس والمعايير وهي:

١. أن عالم النص Textual world هو البنية التصورية للنص في ذهن مستعمل اللغة.

٢. المجالات الدلالية على وجه الخصوص يجب أن تشمل مايلي:

أ. الحالات والأزمنة والأمكنة والأجزاء والمواد.

ب. الأفكار المنطقية العامة كالعموم والخصوص والكم والكيف والغرض.

ج. التجارب الإنسانية (كالوعي الاستبطاني والوجدان والإدراك العقلي).

د. عوارض احتمالية في الاتصال اللغوي بطريق تداخل النظم الرمزية مثل: الإفادة والقيمة والتساوي والتقابل.

٣. تخطّي النص السطحي أثناء الفهم النصي والقول بوجود أفضليات لا بين رؤوس المركبات والمفاهيم الأولية فقط، بل بين التكافلات النحوية grammatical dependencies، والوصلات المفهومية conceptual links .

---

(١) انظر: Debeaugrande, Robert & Dreseller, Wolfgang: **an Introduction to Textlinguisitics**, p 145-147. & van Dijk, Teun (a): text & context: **explorations in the semantics and pragmatics of discourse.** London: Longman 1977, p 39.

(٢) انظر: Brown, Gillian & Yule, George: **discourse analysis,** Cambridge university press, 1987, p 19-24.

(٣) بحيري، سعيد، **علم لغة النص**، ص ١٤١.

٤. المحافظة على الترابط المفهومي Conceptual connectivity بحسبانه أساس الالتحام coherence[١].

ولعل هذه المعايير مما يدفع بالباحثين المحدثين إلى الاتّكاء عليها في العرض النظري والتطبيقي عند تناولهم للنص، يقول عبد الملك مرتاض: " ولعل أول ما تتميز به القراءة الحديثة، أنها لم تعد تجزىء القصيدة الشعرية إلى أبيات، شأن القراءة لدى الأجداد، وإنما اغتدت تتخذ من النص الأدبي لحمة متلاحمة، وبنية متراصة، ولا ينفصم بعضها عن بعض كما أنها اغتدت تشرئب إلى معالجة النص معالجة كلية بحيث تحاول ربط الآخر بالأول، والأول بالآخر، لتستخلص منه لوحة فنية بديعة"[٢].

فالانتظام النصي يعني أن النص بنية كلية متكاملة تحكمها علاقات التكامل والاقتضاء ، فكل عنصر يقتضي الآخر وهكذا، وهذه العناصر إذا تم الإمعان في النصوص هي واحدة، ولكن طريقة أو أسلوب بنائها، وتشكلها ، هي ما يميزها في نص دون آخر، وإذا غابت هذه العناصر ظهر النص مشوهاً، إذن فلا بد من المحافظة على مقولة أساسية في الانتظام النصي وإذا غابت هذه المقولة سقط النص، وهذه المقولة هي مقولة التماسك، التي تقوم على التماسك النسقي، أي: تماسك أجزاء النص بعضها ببعض ، والتماسك المقامي، أي: تماسك النص بارتباطه بمقام محدد[٣]. وهو الجزء الأسمى في النص؛ لأنه يشكل " جزءاً من الأشكال التي يتضمنها المحتوى النصي في النظام اللغوي، إنه الوسائل التي تترابط بها العناصر بنيوياً الواحدة تلو الأخرى ، معتمداً كل واحد منها على الآخر في عملية التوضيح والتفسير"[٤].

فالانتظام النصي يتضمن التماسك النصي ومجموع العناصر التي تعمل على البناء الهادف للنص، وأي باحث يريد أن يطبق معايير علم اللغة النصي في تحليل النص لا بد من أن يأخذ بنظر الاعتبار هذه المقولة، وقد يدخل مقولات أخرى مثل: التنضيد، والاتساق، والتشاكل والترادف؛ لأن هدف هذه المفاهيم هو النظر في ضوئها إلى مستويات الخطاب المختلفة من حروف وأدوات وتركيب معجم[٥]. أي: أنه في النهاية يجد نفسه مضطراً إلى التحليل المتسلسل وكذلك المتزامن للجمل النصية، أي: التتابع والتفاعل[٦].

وصفوة القول: إن الانتظام النصي يتميز بطبيعة نحوية ذهنية بمعنى: أن المرسل لحظة إنتاج النص يصدر في إبداعه للتراكيب المتتابعة عن وعي ذهني، وتتحكم بهذه الطبيعة النحوية مجموعة من العوامل النفسية واللغوية، والاجتماعية، والنحوية، وغيرها؛ لذا فإن مسألة الانتظام النصي تخضع للتوتر النفسي، فتتشكل لدى المرسل صورة ذهنية لتراكيب منتظمة في إطار بناء الأنساق الداخلية لألفاظ نصة ومفرداته، فيبحث من خلالها عن بناء أنموذج متكامل للمعاني المنتظمة[٧]. أي: أن المرسل يتخذ لنفسه خطة نحوية نصية محددة، ينطلق منها إبداعياً، فيراعي فيها قواعد اللغة والدلالة جميعها؛ سعياً للوصول إلى نص متكامل مؤثر.

---

(١) انظر: دي بوجراند، روبرت: **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨، ص ص ٢٠١-٢٤٧.

(٢) مرتاض، عبد الملك: تقاليد القراءة وأصولها في الأدب العربي، بحث منشور ضمن الموقع الالكتروني التالي: **http://www.nizwa.com/volume4/p53-63**

(٣) see: halliday & Hassan: cohesion in English, p 27

(٤) -see: halliday & Hassan: cohesion in English, p 27 – 28

(٥) مفتاح، محمد: **التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية**، ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م، ص ١٢٥.

(٦) انظر: الحمداني، موفق: **علم نفس اللغة من منظور معرفي**، ط١، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠٤، ص٦٢.

(٧) عبدالمطلب، محمد: **البلاغة والأسلوبية**، القاهرة، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص ٣٢.

ثانياً: خصوصية الانتظام اللساني النصي في القرآن الكريم

للنص القرآني مستوى لا نظير له من الانتظام اللساني؛ ويعود هذا إلى عظم أمر البلاغة القرآنية القائمة على الإدراك الشامل لطبيعة اللغة وعلاقاتها، وارتباطاتها السياقية من جهة، والانسجام والتناسق الدلالي للمفردات والتراكيب النصية من جهة أخرى؛ ونظراً لهذه الطبيعة الفريدة لهذا الانتظام؛ فإن الجانب النحوي النصي للانتظام القرآني يأخذ خصوصية واضحة، وتعد هذه الخصوصية معلماً بارزاً لبناء النص القرآني، وبصورة عامة، فإن النظر في النص القرآني يعطي القارئ قواعد بناء نصية محددة منها: كيفية المؤاخاة بين الألفاظ والتراكيب، وحسن الانتقال من مقطع لآخر، وإحكام القصد في اختيار الألفاظ والتراكيب والترابط بين التراكيب، واللطافة المتناهية في استعمال: الإحالة، والربط الذهني، وكل الأدوات التي تسهم في الترابط والاتساق النصيين، يضاف إلى ذلك تدريب القارئ على كيفية اختيار الأطر، وكيفية الانتقال من إطار إلى آخر، وغيرها من القواعد النظامية النسقية الأخرى.

وهذه القواعد تعمل على تعزيز بنية الانتظام النصي في القرآن الكريم وتتولد عن هذه البنية نماذج كثيرة ومتنوعة، ومن الصعب حصرها في بحث محدود مثل هذا،وذلك مثل الفصل والوصل، والوقف والابتداء، والبنى المرجعية وغيرها، فهذه جميعها وكذلك جهود المفسرين سيتم بحثها في بحث مستقل إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: المعجم الخاص بلغة السورة وأثره في بنية النص

النظر في ألفاظ السورة يثبت أن الجانب المعجمي له أثر مهم في البنية الفكرية والدلالية لها، بل في تعزيزالجانب الانتظامي للتراكيب ودلالاتها النسقية، وتكوين أفكارها،يقول سيد قطب: "فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا وحقيقة الذين آمنوا في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا،وتمجيد كذلك للذين آمنوا،مع إيحاء بأن الله عدو للأولين ولي للآخرين "(١)، ويقول في موضع آخر:" ثم تمضي السورة بعد هذا الهجوم العنيف السافر في ألوان من الحديث حول الكفر والإيمان، وحال الكافرين في الدنيا والآخرة.فتفرق بين متاع المؤمن بالطيبات؛وتمتع الكافرين بلذائذ الأرض كالحيوان..." (٢)، ونجد في السورة حديثًا عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم، والدعوة لقتال الكافرين، وكذلك تهوين أمر الدنيا، والتتبع الدقيق للألفاظ ودلالاتها يثبت ذلك. وفيما يلي عرض لبعض الألفاظ التي ترسخ هذه الأفكار وتؤكدها:(الذين كفروا، وصدوا عن سبيل الله، والذين آمنوا، وعملوا الصالحات، الباطل، الحق، فضرب الرقاب، أثخنتموهم، فشدوا الوثاق، تضع الحرب أوزارها، إن تنصروا الله ينصركم، الجنات، النار، أهلكناهم، الساعة، الله يعلم متقلبكم، لعنهم الله، ارتدوا، الذين في قلوبهم مرض، ولنبلونكم، المجاهدين، الصابرين، ماتوا وهم كفار، السلم، الحياة الدنيا لعب ولهو،الله الغني وأنتم الفقراء) ، والسؤال هنا:ما دور هذه البنى المعجمية في تشكيل الانتظام اللساني النصي في السورة ؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بد من مراعاة ما تقدم ذكره آنفاً في عملية التحليل، ثم جعل الأفكار المتتابعة تنتظم وفقًا للتفاعل الحاصل بين المدلولات المعجمية، والسياقية للفظ القرآني.

رابعاً: نماذج الانتظام اللساني النصي في سورة محمد

بعد القراءة والمتابعة يمكن القول: إنه توجد مجموعة من النماذج الذهنية للانتظام النصي في سورة محمد وهذه النماذج هي:

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ط ٧، بيروت– لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧١م، ج٢٣/ ص٤٣٧.

(٢) المصدر السابق،ج ٢٣/ص ٤٣٨.

أ. نموذج التتابع المنطقي للأفكار.
ب. نموذج قصدية المحوروالتفريعات التركيبية.
ج.التباين والتجانس.
د. تتابع الأساليب اللغوية.
وفيما يلي بحث لهذه النماذج:

أ. نموذج التتابع المنطقي للأفكار

القارئ لسورة محمد – صلى الله عليه وسلم– يجد أن الأفكار موضوع العرض والتقرير والتأكيد، تتتابع بطريقة منطقية، إذ يتم الانتقال من فكرة لأخرى بطريقة مقننة تعكس جماليات الانتظام النصي وقوته، وأثره في بناء النص القرآني، ويظهر هذا جلياً على مستوى الآية الواحدة، وعلى المستوى النصي كاملاً، ولا بد من الإعلان منذ البداية أن هذه السورة مدنية ولها اسم آخر وهو القتال، يقول سيد قطب:" وهو اسم حقيقي لها، فالقتال هو موضوعها، والقتال هو العنصر البارز فيها، والقتال في صورها وظلالها، والقتال في جرسها وإيقاعها"[1]، يقول الله عز وجل: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) ﴾** [2].

يذكر الله –عز وجل– في الآية الأولى ثلاث أفكار أساسية هي: إن الذين يكفرون بآيات الله، ويصدون غيرهم عنها، فإن الله–تعالى– قد أبطل أعمالهم، وأذهبها ولم يجعل لها ثواباً، وتتتابع هذه الأفكار بطريقة منطقية؛ لأن سبب إبطال الأعمال والإذهاب هو الكفر والإبعاد، وهذا ينطبق على غير هذه الآية من الآيات، وتحكم هذه الآيات العلاقات السببية وهي أقوى العلاقات داخل النص.

وعلى المستوى النصي –أي: تتابع الأفكار على مستوى النص– فإن الله –عز وجل –يرسم طريقين للإنسان، ويعطل له كل طريق؛ لفتاً لأنظار الإنسان كي لا يكفر، فيعرف طريق الحق والصواب، ففي الآيات (١–٣) يمكن تمثيل الانتقال من فكرة لأخرى كما يلي:

رقم الآية	طريق الكفر	النتيجة	السبب	رقم الآية	طريق الإيمان	النتيجة	السبب
١	الذين كفروا وصدوا غيرهم	إبطال أعمالهم وإذهابها	اتباع الباطل	٢	الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم	كفر الله عنهم سيئاتهم وأصلح حالهم	اتباع الحق

فالفكرة المحورية هنا، هي الموازنة بين طريقي الحق والباطل والكفر والإيمان، فباتباع الذين كفروا وصدوا غيرهم عن طريق الإيمان الباطل، أبطل الله أعمالهم وأذهبها، وباتباع الذين آمنوا وعملوا الصالحات الحق وإيمانهم

(١) قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، ج٢٣/ ص٤٣٧.
(٢) **سورة محمد**، الآيات ١–٣.

بما أنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم-كفر الله عنهم سيئاتهم وأصلح حالهم ، فهناك طريقان معللان ، يتمتعان بوضوح ما بعده وضوح، فما لذي العقل والبصيرة إلا أن يعتمد طريق الحق والصواب ،وما ينطبق على هذه الآيات ينطبق على غيرها.

ويمكن القول: إن السورة قد تضمنت الأفكار الكلية التالية:

١.الموازنة بين الكافرين والمؤمنين وذلك في الآيات (١-٣).

٢.إرشاد المؤمنين لما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين (٤-٩).

٣.التفصيل في الحديث عن المشركين بالله، والمكذبين لرسوله، واستمرار الموازنة بينهم وبين المؤمنين بالله ورسوله (١٠-١٣).

٤.استمرار الموازنة بين صاحب البصيرة واليقين، أي: المؤمن، ونقيضه الكافر، وذلك في الآيات (١٤-١٥).

٥.الإخبار عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم، وذلك في الآيات (١٦-١٩).

٦.الإخبار عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد، فلما فرضه الله- عز وجل- وأمر به، نكل عنه كثير من الناس، وذلك في الآيات (١٧-٢٣).

٧. الأمر بتدبر القرآن وتفهمه، والنهي عن الإعراض عنه (٢٤-٢٨).

٨.الإخبار بأن الله سيوضح أمر المنافقين ويجليه لذوي البصائر (٢٩-٣١).

٩.الإخبار بأن من كفر وصد عن سبيل الله، وخالف الرسول وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى، أنه لن يضر إلا نفسه، وذلك في الآيات (٣٢-٣٥).

١٠.تحقير أمر الدنيا وتهوين شأنها، وذلك في الآيات (٣٦-٣٨).

إذ يُنتقل من فكرة إلى أخرى وفقاً للمنطق السياقي، يقول الله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣)﴾ [1].

الحديث في هذه الآيات عن الكافرين وعاقبتهم، والمؤمنين وعاقبتهم، وتوضيحاً لهذه الفكرة المحورية يتم الانتقال من فكرة لأخرى بطريقة متسلسلة ومنطقية، إذ يبتدىء الحق -عز وجل- مستفهماً لغرض لفت الأنظار، وتقبيح الكافرين، وإعلاء شأن الإيمان والمؤمنين، أفلم يسر المشركون بالله والمكذبون لرسوله في الأرض؛ لأخذ العظة والعبرة مما حل بمن سبقهم من الدمار والهلاك بسبب الكفر والتكذيب، والنجاة للمؤمنين من بينهم، فالله -عز وجل- يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يوم القيامة، أما الكافرون فإنهم يأكلون في الدنيا كما تأكل البهائم، وهذا جزاؤهم، والنار مثواهم، ثم يعقب الله تأكيداً للمعاني بتقرير حقيقة أنه أهلك أمماً أكثر قوة وصلابة وبطشاً من أهل مكة، فماذا ظن أهل مكة أن يفعل الله بهم؟!!

ويمكن تحليل الأفكار الواردة في الآيات السابقة على النحو التالي:

١. دعوة الكفار إلى النظر إلى ما حل بالأمم التي سبقتهم نتيجة كفرهم.

---

(١) سورة محمد، الآيات ١٠-١٣

٢. إن الله –عز وجل–مولى الذين آمنوا، أما الذين كفروا فلا مولى لهم.
٣. إن الله –عز وجل– يدخل المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار متمتعين بحلاله عز وجل.
٤. إن الله –عز وجل– معذب الذين كفروا في الدنيا والآخرة فهم في الدنيا يأكلون كما تأكل البهائم، وفي الآخرة مأواهم النار.
٥. التهديد والوعيد لكفار مكة، فالله –عز وجل– أهلك من هو أكثر منهم بطشاً وكفراً، فماذا يظنون أنه فاعل بهم؟

وصفوة القول: إن الأفكار تتتابع داخل السورة على المستويين التركيبي والنصي بطريقة منطقية ومتسلسلة، ويحدث هذا التتابع انتظاماً في البنية اللسانية النصية للسورة، ويثبت هذا الانتظام ارتداد كل فكرة من الأفكار الجزئية إلى المحور الدلالي الفكري الذي انطلق منه.

ب.نموذج قصدية المحور والتفريعات المتتالية

الفرق بين محور التتابع المنطقي للأفكار وقصديه المحور والتفريعات، أن الأول يشمل المحاور جميعها، أي يشمل الأفكار الكلية جمعيها، أما محور قصدية المحور والتفريعات فيشمل المحور والأفكار الجزئية المرتبطة بهذا المحور، وهذا يثبت أن النص فعلاً يضم مجموعة من التقنيات اللسانية التي تسهم في اتساقه وتكونه، وتأتي تقنية قصدية المحور والتفريعات المتتالية؛ لتكون من أهم هذه التقنيات على الإطلاق؛ لأنها تسهم في تحديد البؤرة القصدية فهناك فكرة كلية (دلالة كلية)، وهناك تفريعات تالية لها قد تطول أو قد تقصر، أي: دلالات جزئية تابعة للكل المنتظم، وهذا يجعل الدلالة وعلمها من أهم العومل التي تسهم في الكشف عن حركية الانتظام النصي؛ لأن علم الدلالة يساعد في الكشف عن حركية الدلالة، وإبراز مستوياتها، وإعادة بنائها بهدف تعيين الوحدات الدالة وتنظيمها وفق " سلم تراتبي" متكامل البناء[١].

وكما تمت الإشارة سابقاً، فإن هناك عشر أفكار كلية تمثل محاور أساسية تتفرع عنها – أي عن كل فكرة– مجموعة من الأفكار الجزئية التي تمثل سلسلة من التفصيلات التي تخدم الموقف أو المشهد القرآني الكلي، وفيما يلي عرض لمحورين على سبيل التمثيل لا الحصر – متضمنين لأفكار جزئية تابعة لهما، أما المحور الأول: فيتمثل بالأخبار عن المنافقين في بلادتهم وقلة عقلهم في الآيات (١٦–١٩) يقول الله عزوجل﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)**﴾ [٢] إذ تتفرع عن هذا المحور الأفكار الجزئية التالية:

أ. كان المنافقون يجلسون إلى الرسول– صلى الله عليه وسلم – فلا يفهمون كلامه، فيسألون الصحابة: ماذا قال آنفاً؟ فهم لا يعقلون ما قال النبي– صلى الله عليه وسلم –ولا يكترثون له.
ب. إن الله قد طبع على قلوب هؤلاء فلا فهم صحيح ولا هداية.
ج. الذين قصدوا الهداية، وفقهم الله لذلك، وثبتهم وزادهم منها وألهمهم رشدهم.
د.تحذير الكافرين من غفلتهم إذا اقتربت الساعة وهم غافلون.

---

(١) انظر: طالب، أحمد: السيميائية من نظرية المحاكاة إلى النظرية الشكلية، الفاعل في المنظور البنيوي السيميائي، بحث منشور ضمن الموقع الإلكتروني التالي:

azzouzlahcen.jeeran.com/page-5html.15k

(٢) سورة محمد:١٦–١٩.

ت. لفت النظر إلى أنه لا إله إلا الله آمراً بعلم ذلك وبالاستغفار.

ث. ولفت النظر إلى قدرة الله -عز وجل- وعلمه الدائم، فهو يعلم مستقر الإنسان نهاراً ومستقره ليلاً.

فهذه الأفكار الجزئية؛ جاءت موضحة للمحور الأساسي الذي يتضمن الإخبار عن المنافقين في بلادتهم وقلة فطنتهم، ففيها توضيح لحال المنافقين، وتحذير الكافرين من غفلتهم، ثم لفت الأنظار إلى قدرة الله -عز وجل- وعلمه الذي لا ينقطع أبداً.

أما المحور الثاني: فيتمثل في تحقير أمر الدنيا وتهوينه -عزوجل- لشأنها، إذ يقول الله عز وجل: **﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)﴾** [1]

إذ تتفرع عن هذا المحور الأفكار الجزئية التالية:

أ. إن حاصل الدنيا لعب ولهو إلا ما كان لله عز وجل.

ب. يؤجر المؤمن من الله على إيمانه وتقواه، والله -عز وجل -غني عن البشر لا يطلب منهم شيئاً، وفرض الصدقات هو مواساة للفقراء.

ج. إن يسأل الله العبد ماله فيحرجه فيبخل به رغم أن فيه إخراجاً للأضغان، أي تطهيراً للنفس.

د. إذا دعي العبد للإنفاق في سبيل الله، فإن من الناس من يبخل بماله، فلا يستجيب ومن يبخل فإنه إنما نقص نفسه من الأجر فيعود وبال ذلك عليه.

ه. إن الله هو الغني،والباقون فقراء إلى الله.

و. إنْ يتول العبد فلا يستجيب لطاعة الله وشرعه؛ فإن هذا مدعاة إلى أن يستبدل الله قوماً غير هؤلاء القوم مطيعين له.

ويلحظ في هذا المحور، أن التفريعات قد جاءت؛ لتؤكد أن الدنيا لا تساوي عند الله – عزوجل – شيئاً، وأن الإنسان مأجور بتقواه والله -عز وجل -غني عن العباد، وفرض الصدقات هو للمتصدق وللعباد، أما المتصدق: ففيه تطهير لنفسه، وأما العباد: ففيها مواساة للفقراء منهم، وفي النهاية التحذير من عدم الإنفاق في سبيل الله؛ لأن ذلك قد يستلزم تغييراً جوهرياً وجذرياً، وهذا التغيير هو استبدال الله لقوم غير هؤلاء القوم مطيعين له.

إذن هناك محور أساسي، تغذيه مجموعة من الأفكار الجزئية، وتتتابع هذه الأفكار مشكلة شبكة دلالية موحدة، قائمة على التجانس.

ج.التباين والتجانس

يقصد بالتباين: الاختلاف الحاصل بين عناصر محددة بنسق ثابت، وقد يمتد التباين ليشمل بنى التخالف والتقابل والموازنة المتضادة بين صورتين (المقابلة)، ويكثر النمط البسيط للتقابل في القرآن الكريم الذي يشمل التضاد الحقيقي والمجازي، والتقابل المعنوي وتقابل التخالف[2]. أما التجانس: فهو التشابه أو التماثل الحاصل بين العناصر المحددة بنسق ثابت، يقول فايز القرعان: "إن التماثل في حقيقته الظاهرة هو تماثل مفردتين باللفظ على مستوى

---

(١) سورة محمد:٣٦-٣٨

(٢) انظر: القرعان، فايز:التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ط١،اربد، المركز الجامعي للنشر، ١٩٩٤، ص ٩٣.

العبارة ، ولكن بنيته هنا لا تقف عند حد التماثل الشكلي فحسب، وإنما قد تحمل في علاقاتها السياقية مضامين قد تكون متشابهة، وقد تكون مختلفة، وقد تصل إلى حد التضاد"[1]. ويفصل القرعان الحديث في التقابل والتماثل في القرآن الكريم بطريقة شائقة وعلمية، وفيها دقة متناهية، وليس الغرض هنا الدخول في التفصيلات المتعلقة ببنى التباين والتجانس في القرآن الكريم، ولكن الغرض الإشارة إلى أثر هذين العنصرين في الانتظام النصي.

وقد آثر البحث جعل العناصر المتخالفة والمتضادة والمتقابلة واقعة ضمن دائرة التباين؛ لأن التباين أقرب إلى الاختلاف وأوسع منه، فهو يشمل القيم المتخالفة جميعها، مع الوعي التام بتحديد كل مصطلح من حيث مفهومه ومجالاته الدلالية، كما أنه آثر جعل العناصر المتشابهة والمتماثلة تقع ضمن دائرة التجانس؛ لأن التجانس أوسع وأشمل من التشابه والتماثل، يقول جون ليونز : "ويطلق التجانس بشكل تقليدي على الكلمات (أي المفردات) المختلفة ذات الصيغة الواحدة، حيث إن المفردات يمكن أن يكون لها أكثر من صيغة واحدة وليس من غير الشائع أن تشترك مفردة أو أكثر لكن ليس جميع المفردات في صيغها".[2]

ويقع التباين على المستوى اللفظي وعلى المستوى النصي، والمقصود باللفظي وجود ألفاظ تحمل قيم التضاد داخل التركيب الواحد، أو على امتداد تركيبين فأكثر، أما النصي فيتضمن إجراء موازنة بين عنصرين متخالفين، وصفوة القول: إن التباين هو التخالف الحاصل بين الوحدات اللغوية في حالتها الإفرادية أو المجموعية إذا كان الوصف على المستوى النصي، أي: الامتداد الجملي، أما التجانس: فإنه صورة من صور التشاكل الذي حدده براستي" بأنه" كل تكرار لوحدة لغوية مهما كانت"[3].

تضم السورة في مكوناتها التركيبية والدلالية التعبيرية، مجموعة من أنساق التباين والتجانس، وتبرز هذه الأنساق القدرة الإبلاغية للنص القرآني، فعملية الموازنة أو المقارنة بين الإيمان والكفر والمؤمن والكافر والمشركين المكذبين والمؤمنين الصادقين الصدوقين، وغيرها من الصور، تجعل الإنسان يتابع ما يقرأ ويسمع، ويحاول التحليل مرات ومرات، فيتابع ويتأثر بما يقرأ، ويتواصل، وبهذا تكون بنى التباين والتجانس مما يجعل النص مؤثراً ومتسقاً؛ وبهذا يتحقق منحى الانتظام، يقول الله عزوجل : ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)**﴾[4].

على مستوى التجانس يمكن تمييز نوعين من التجانس، أما الأول: فهو التجانس التلازمي، والمتمثل بالتشابه الحاصل بين الشيء ومحدده، مثل:

- أنهار من ماء غير آسن.
- أنهار من لبن لم يتغير طعمه.
- أنهار من خمر لذة للشاربين.
- أنهار من عسل مصفى.

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٢٢.

(٢) ليونز، جون: اللغة وعلم اللغة، ترجمة مصطفى التوني، ط١، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٧م، ص ١٩٩.

(٣) مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط٢، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٦م، ص ٢١.

(٤) سورة محمد، الآيات ١٤-١٥.

فهناك تجانس بين النهر ومكوناته وصفاته؛ لتأكيد لذة الجنة التي وعد المتقون بها؛ وهذا يعود بدورة إلى تأكيد أهمية تمتع الإنسان ببصيرة ويقين متصلين بالله -عز وجل- ليحدث الإيمان الصادق، وليبقى الإنسان متصلاً بالله -عز وجل- فيعود إلى فطرته التي فطر عليها.

أما النوع الثاني من التجانس : فهو التجانس التقاربي، بمعنى وجود مجموعة من الألفاظ والتراكيب التي تتحد فيما بينها لتأكيد ماهية واحدة، ويتجلى ذلك بالمعادلة الإيمانية ومعادلة الكفر والعياذ بالله.

ويمكن تمثيل المعادلة الإيمانية كما هي في النص بالمعادلة التالية:

* المؤمن المتقي (صاحب البصيرة المؤمنة)..... الجنة ..... الخلود فيها أما المعادلة غير الإيمانية، معادلة الكفر، فهي على النحو التالي:

*الكافر غير المؤمن بما جاء في كتاب الله ..... النار..... الخلود فيها.

ويلحظ التباين في التضاد الحاصل بين المفردات والألفاظ، وكذلك الصورة، مثل: الجنة والنار، ومن كان على بينة من ربه ومن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم، وكذلك المقابلة بين صورتي المؤمن المتقي والكافر غير المتقي، الخالد في جهنم.

يقول الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥)﴾** [1].

قبل البدء بالحديث عن بنى التباين والتجانس في هذه الآيات التي تتحدث عمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول- صلى الله عليه وسلم- وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى، أود إيراد جدول يبين الألفاظ والتراكيب التي تشير إلى قيم التباين والتجانس، وهذا الجدول هو:

الألفاظ والتراكيب التي تشير إلى التباين	الألفاظ والتراكيب التي تشير إلى التجانس
كفروا- آمنو	كفروا - وصدوا - وشاقوا
صدوا- أطاعوا	أطيعوا الله- وأطيعوا الرسول- ولا تبطلوا أعمالكم
سيحبط أعمالهم - لا تبطلوا أعمالكم (الفاعلية لله جل وعلا)	كفروا - صدوا عن سبيل الله- وهم كفار - لن يغفر الله لهم
	لا تهنوا وتدعوا إلى السلم- أنتم الأعلون- الله معكم- لن يتركم أعمالكم

فالله -عز وجل- يخبر عمن كفر وصد عن سبيله، وخالف رسوله وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى فهو لن يضر الله شيئًا، وإنما سيضر نفسه فهو الخاسر، وأعماله محبطة[2]. ولتوضيح هذه الفكرة الكلية؛ نتابع

---

(١) **سورة محمد**، الآيات ٣٢-٣٥.

(٢) ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين (ت٧٧٤هـ) :**تفسير القرآن العظيم**، م٤، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، خرج أحاديثه، عبد الله المنشاوي، المنصورة، مكتبة الإيمان، ط١، ٢٠٠٦، ٤/٢٣٠.

الألفاظ المتباينة المتضادة كما هو في الجدول، مؤكدة قدرة الله –عز وجل– على محاسبة الكافر المرتد ومعاقبته؛ لأن الله سيحبط أعماله، ولن يغفر له مطلقًا إذا مات وهو كافر؛ ولتأكيد هذه الصورة المرسومة للمؤمن الحق، تتابع الألفاظ والتراكيب الدالة على التجانس، مثبتة أن التراكيب القرآنية تعزز بعضها بعضًا، وهذا التوازي الحاصل بين التراكيب المتجانسة والمتباينة أيضًا، يثبت أن النص القرآني يتميز بالانتظام الكلي المتكامل.

د.تتابع الأساليب اللغوية

يقوم المرسل في كل لغة من اللغات بتحديد نمط التخطيط النصي بناء على معطيات قواعد لغته، ويقوم باختيار روابط نصية مختلفة لصنع النمط الجملي المطلوب الذي يفضي في النهاية إلى الشكل التصريحي للتركيب[1].

وفي العربية يلجأ المرسل في تخطيط النص بناء على قواعد العربية ورغبة منه في التأثير والإبلاغ إلى اختيار بنية تكرار بعض الأساليب؛ وتتابعها من أجل الربط والتأثير، وفي القرآن الكريم– وبخاصة سورة محمد– يلحظ أن ظاهرة تتابع الأساليب اللغوية والنحوية تشكل عامل انتظام أساسي في البنية النصية، وتأتي هذه الظاهرة؛ لتعزز أثر عوامل الانتظام الأخرى وتفعلها في العملية البنائية للنص، يقول الله عز وجل : **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)﴾** [2].

يلحظ في هذه الآيات أن أساليب كل من الاستفهام والتأكيد والنفي تشكل رابطاً دلالياً يربط الدلالات الكلية والجزئية لها، ويبرز الاستفهام بروزاً واضحاً على رأس هذه الأساليب، ويصنف الاستفهام في الكلام الإنشائي الطلبي، وهو ضرب من التأرجح بين بديل وحاجة إلى الاختيار، ويجري ذلك الاستخبار في بنية النص الملفوظ كله"[3]. إلا أن الغرض في النص القرآني هنا يتجاوز عملية الإخبار والرغبة في العملية البسيطة للاستفهام والتي تتضمن طلب معرفة الشيء؛ لترقى إلى درجة التأثير وبيان سذاجة المشركين والهزء الذي يعيشون به، يظهر هذا في قوله تعالى: ((أفلم يسيروا؟)) و (أفمن كان على بينة؟))، وفي التركيب الثاني: مايلفت نظر الإنسان إلى الفارق الكبير بين الإنسان المؤمن وغير المؤمن، وعاقبة كل منهما.

ويأتي التأكيد باستعمال (إن) في التراكيب القرآنية: (بأن الله مولى الذين آمنوا، وأن الكافرين لا مولى لهم، وأن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات)؛ لبيان عاقبة العمل الإيماني الذي يقوم به المؤمن والعمل التكذيبي الساذج الذي يقوم به الكافر، وفي كل ذلك تأكيد على قدرة الله– عز وجل– ورحمته بالناس، وأن كل إنسان مؤمن يعمل الخير والعمل الصالح يأخذ جزاء عمله؛ فيتمتع بجنات تجري من تحتها الأنهار.

---

(1) see: kreoger, pawl: **Analyzing grammar an introduction**, Cambridge University press, f. pub, 2005, UK, P 196.

(٢) **سورة محمد**، الآيات ١٠–١٤.

(٣) عاشور، المنصف: **بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية**، تونس:منشورات كلية الآداب بمنوبة، ط١، ١٩٩١، ص٢٦٤.

ويأتي كذلك النفي؛ ليؤكد أن الكافرين هالكون، وذلك في قوله تعالى: (لا مولى لهم) و(فلا ناصر لهـم)، فهـذه الأساليب تتضافر مع غيرها من الجوانب اللسانية البنائية، لتعمق الدلالات وتفعلها، فتعطي النص الطابع الإنسجامي الذي يحقق هدف الاتصال[١]. أي الهدف أو الغاية الربانية لهذه الآية.

وإن استعمال العطف في السورة يمثل استعمالاً أسلوبياً واضحاً ومقصوداً لأغراض بنائية تعبيرية، فهو يـدخل في الجانب البنائي الانتظامي للنص، ولعل تتابع المعطوفات لمما يعزز الطابع التنظيمي النصي للنص القرآنـي، إذ يعمل أسلوب العطف الذي هو في حقيقته اشراك للثاني في حكم الأول[٢]، على التنظيم النسقي للأفكار التي ترتد إلى بنية واحدة، أي فكرة كلية واحدة، يقول الله عز وجل : ﴿ **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَـاءٍ غَيْـرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَـا مِـنْ كُـلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)** ﴾[٣]

فهناك فكرة كلية واحدة وهي: الموازنة بين المؤمن ذي البصيرة الإيمانية والكافر، ومصير كل منهما، فمـصير المؤمن هو الجنة، وتأتي التراكيب المعطوفة؛ مبينةً لأوصاف الجنة ولطبيعتها، إنها جنة المتقين، التي تضم الأنهـار الصافية الماء التي لا كدر فيها، والأنهار الكاملة من اللبن الذي لا يتغير طعمه، وكذلك الخمر الذي لا رائحة كريهة له كخمر الدنيا وكذلك طعمه، والأنهار من العسل المصفى[٤].

خاتمة

وبعد، فهذه جوانب من الانتظام اللساني النصي في سورة محمد، وهي بلا شك كثيرة وواسعة، سـعة القـرآن الكريم ومعانيه، وهي تثبت السلطة التنظيمية للأنساق اللغوية والفكرية للقرآن الكريم، وبعد بحث هذه الجوانب التـي اهتدى البحث إليها، يمكن تقرير ما يلي:

١. تتضمن سورة محمد- صلى الله عليه وسلم- مجموعة من جوانب الانتظام اللساني النصي، وأبرز هـذه الجوانـب التـي اهتدى إليها البحث هي: نموذج التتابع المنطقي للأفكار، ونموذج قصدية المحور والتفريعات التركيبية، ونمـوذج التبـاين والتجانس، ونموذج تتابع الأساليب اللغوية.

٢. تؤثر هذه الجوانب في تشكيل النص، وتعمق قدرته على الإبلاغ؛ لأنها من العوامل المهمة في بنـاء العلاقـات والأطـر النصية كاملة.

٣. تدخل هذه الجوانب في بناء بنيتي النص: العميقة والسطحية، وتفعيل التعالق الحاصل بينهما.

٤. تشكل هذه الجوانب مجموعة من القواعد المحددة والثابتة للسانيات النص؛ فمن يريد فهم الجانب اللساني لنص ما، لا بـد من أن يطلع أولاً على ما جاء من قواعد لسانية نصية في القرآن الكريم.

---

(1) see: Van dijk, Teun (A): Semantic discourse Analysis, In: Van dijk, Teun (A) editor: **Hand book of discourse Analysis**, London: Harcourt, Brace Jovanovich: academic press,V1,P117,1995.

(٢) انظر: ابن فارس، أحمد بن زكريا: **الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها وسنن العرب في كلامها** ، تحقيق وضـبط: د. عمـر فاروق الطباع، بيروت: مكتبة النفائس، ط١، ١٩٩٣، ص ١٢١ -١٢٤.

(٣) **سورة محمد**، آية ١٥.

(٤) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ٢٢٤/٤.

٥. وفي ضوء ذلك كله؛ فإن البحث يوصي بإجراء دراسات لسانية معمقة في القرآن الكريم، يكون غرضها وضع قواعد أساسية وثابتة للسانيات النص عن طريق القرآن الكريم، النص الذي يدعو القارئ دائماً وأبداً إلى القراءة والفهم، والمتابعة، والتأثير والتدبر، وهذا لا يتوفر لأي نص من النصوص.